

سلطة النسق في رواية ذاكرة الجسد لـ "أحلام مستغانمي"
مقاربة نقدية ثقافية في عتبي العنوان والإهداء

The authority of the system in the novel Memory of the Body Ahlam Mosteghanemi
A critical cultural approach to the title and dedication thresholds.

ط د. حورية طير^{1*}، د. سهيلة بوساحة²

¹ جامعة برج بوعرييج، (الجزائر)، houria.tir@univ-bba.dz

² جامعة برج بوعرييج، (الجزائر)، Souhyla.boussaha@univ-bba.dz

مخبر المثقافة العربية في الأدب ونقده-جامعة سطيف 2

تاريخ النشر: 2022/06/15

تاريخ المراجعة: 2022/04/05

تاريخ الإيداع: 2022/02/15

ملخص:

حملت فترة التسعينات من القرن الماضي للمجتمع الجزائري الكثير من الأحداث والتغيرات التي انعكس صداها على جميع الأصعدة، حيث برزت كتابات جزائريات طالبن بالتحرر والمساواة مع الرجل، فظهرت أسماء كثيرة استثمرت هذا المناخ المأساوي في عوالم الحكيم لديمين واللائي من بينهن "أحلام مستغانمي" التي كشفت كتاباتها عن علاقات ثقافية متعددة ومتعاقبة. وبما أن النص في مرحلة ما بعد الحداثة ينظر إليه من خلال الثقافة التي أنتجته باعتباره مصدرا من مصادر المعرفة والكشف عن الحقيقة، فإننا سنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند الأنساق الثقافية المضمرة ومدى سطوتها على مستوى عتبي العنوان والإهداء في رواية "ذاكرة الجسد" وذلك لكشف المعنى الخفي الغائر خلف تراكيبها بالاعتماد على آليات التحليل الثقافي التي تفك شفراته ورموزه المخبوءة وراء الجمالي.

الكلمات المفتاحية: أحلام مستغانمي، النص، الحداثة، التحليل الثقافي، الأنساق الثقافية، عتبات الخطاب.

Abstract:

The nineties of the last century brought to Algerian society many events and changes that resonated at all levels, as Algerian women writers emerged who demanded liberation and equality with men, about multiple and interrelated cultural relation. Since the text in the post-modern stage it is viewed through the culture that produced it as a source of knowledge and truth disclosure, we will try in this study to stand at the implicit cultural patterns and their sway at the level of the title and dedication thresholds in the novel "Memory of the Body" in order to reveal the meaning the hidden its structures relying on the mechanisms of cultural analysis that decode its codes and symbols hidden behind the aesthetic.

Key words: Ahlam Mosteghanemi, Text, Modernity, Cultural Analysis, Cultural patterns, Dixourse thresholds

* المؤلف المراسل .

تقديم:

لقد سعت الدراسات الثقافية منذ بداية الستينات إلى استجواب منظومة القيم والأعراف السائدة في الثقافة الغربية في مرحلة ما بعد الكولونيالية / ما بعد الحداثة في النظر إلى النص الأدبي على أنه كتلة ثقافية أنتجها المجتمع، "فالنص الأدبي عموماً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدلالات ثقافية أسهمت في تشكيل مجرياته الحديثة والفنية، وهذا الارتباط يحمل في طبيعته الصياغية بعدين مقصود وآخر غير مقصود، إذ يعتمد الكاتب على بث رؤيته الثقافية بين سطور النص بالإضافة إلى وجود دلالات غير مقصودة لكنها وجدت بفعل ثقافي مهيم على وعي الكاتب والقارئ معاً".¹

ويعد النقد الثقافي واحداً من الممارسات النقدية الحديثة التي حاولت استنطاق الخطاب الأدبي وقراءته قراءة جديدة تستظهر مكوناته، وتحدّد مقاصده من أجل الوقوف على طبيعته وعلاقته بالمضمرات الثقافية المتسربة إليه بوعي المبدع حيناً وعلى غفلة منه حيناً آخر، فقد تم "تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره (وتسويقه) بغض النظر عن عيوبه النسقية، إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه".²

أولاً: النقد الثقافي والرواية العربية المعاصرة

يعد النقد الثقافي "cultural criticism" من أبرز الاتجاهات النقدية المؤثرة في قراءة الخطابات الأدبية والثقافية في مرحلة ما بعد البنيوية³ فلم تكتسب الممارسات والتجارب الأولى للنقد الثقافي سمات مميزة ومحددة على المستويين المعرفي والمنهجي إلا مع بداية التسعينيات⁴ حين طرحه "فندسنت ليتش Vincent Leitch" مسمى مشروع النقد بهذا الاسم (النقد الثقافي) تحديداً ويجعله رديفاً لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب وهذا ليس تغييراً في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضاً تغيير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسسية من دون أن يتخل عن مناهج التحليل الأدبي النقدي.⁵ وقد جعل له "لينش" ثلاث خصائص انفرد بها النقد الثقافي والتي هي كالآتي:

- 1- لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسسي للنص الجمالي، بل يفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، سواء كان خطاباً أو ظاهرة.
- 2- من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسسي.
- 3- إن الذي يميز النقد الثقافي الما بعد البنيوي هو تركيزه الجوهرية على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوي، كما هي لدى "بارت" و"دريدا" و"فوكو" خاصة في مقولة دريدا أن لا شيء خارج النص، وهي مقولة بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي الما بعد البنيوي، ومعها مفاتيح التشریح النصوي كما عند بارت، وحفريات فوكو.⁶

وبفعل هذه التغيرات الحاصلة على مستوى المناهج النقدية وآلياتها الإجرائية ببروز النقد الثقافي الذي يروم إلى قراءة النص الأدبي من منظور ثقافي يبحث في كشف المطمور والمهندس خلف عباءة الجمال، حيث أن "النص يصبح علامة ثقافية تتحقق دلالتها فقط داخل السياق الثقافي السياسي الذي أنتجته."⁷ فهو ليس مجالاً مغلقاً على ذاته والدليل على ذلك انفتاحه في نقده على الحقول المعرفية المتنوعة، والروافد المكوّنة لما ندعوه بالظواهر الثقافية وبالممارسات المنتجة للمعنى، "باعتباره مبحثاً حيويًا بما أنتجه من تغيير مهم في منهج تحليل الخطاب واستثمار المعطيات النظرية والمنهجية لحقول معرفية متداخلة كالاقتصاد والتاريخ والسياسة والفلسفة والآداب."⁸ ولذلك ترى "القراءة الثقافية في سيرورتها النقدية أن النصوص الأدبية بما تتضمنه من شفرات جمالية ليست بريئة، إذ إن التشكيلات الجمالية والصور الفنية التي تمثل نسيجاً كلياً لتلك النصوص ليست سوى مظهر وهي خادع يضمّر في جوانبه أنساقاً مخالطة تتعلق بالمجتمع والثقافة والأيدولوجيا."⁹

وقد أشار "تيري إيجلبتون" Terry Eagleton "إلى أن ثمة أنساقاً أيديولوجية معينة تتوارى في بنية النص الأدبي، حيث تقدم هذه الأنساق نفسها في العمل بوساطة أشكال متنوعة، وذلك من خلال اللغة العادية المألوفة والرمز والاصطلاح المتعارف عليهما، وعبر شفرة الإدراك الحسي وعبر نتاجات صناعية أخرى."¹⁰ فالأنساق المضمرة داخل مغاليق النص تحتاج إلى قارئ محنك متشعب بمختلف العلوم والثقافات حتى يستطيع الغوص داخل غياهب النص لاكتشاف المضمرة الخفية الكامنة داخله، "وهذا ما يتطلب الاستعانة بأدوات النقد الثقافي الذي يحمل همّ استنطاق النصوص وقراءة ما خلف السطور، وفتح آفاقه على سياقات أكثر رحابة من تلك التي فرضتها المدرسة البنوية والأسلوبية على العملية النقدية، وعزلت النص عن أنساقه."¹¹

وقد دعا "عبد الله الغدامي" رائد النقد الثقافي في العالم العربي إلى ضرورة تحرر النقد من السلطة الأدبية لأنها في حد ذاتها قيد للإبداع الفني، ولكي نرتقي في سلم الإنجازات وتقويم النصوص يجب أن نتحرر من صفة الأدبية وتوسيع الدائرة إلى خلق أداة نقدية جديدة ألا وهو "النقد الثقافي" وهذا يقتضي إجرائياً أن نقرأ النصوص والأنساق التي تلك صفتها قراءة خاصة، قراءة من وجهة نظر النقد الثقافي، أي أنها حالة ثقافية والنص هنا ليس فحسب نصاً أدبياً وجمالياً، وأيضاً حادثة ثقافية."¹²

وقد ساهم الدكتور "عبد الله الغدامي" مع جهود غيره من الباحثين والأكاديميين في إرساء دعائم النقد الجديد، من اهتمامهم بالجماليات الفنية إلى النظر إليه باعتباره نتاجاً من الثقافة التي نشأ بها، وبما أن الرواية تتأسس على مجموعة من الميكانيزمات والآليات التي من خلالها يمكن تصنيفها في إطار فلسفة/ حالة ما بعد الحداثة، كالابتعاد عن المركزي والجنوح إلى الهامشي، أو الحفر في السياسي عن طريق التصريح الثقافي¹³. حيث يعتبر الجنس الروائي من أهم آثار الثورة الحداثية التي اجتاحت العالم في مختلف ميادين الحياة، والتي غيرت بشكل واضح وملحوظ في طريقة تفكير البشر، وهذا ما ظهر جلياً في سلوكياتهم وممارساتهم لحياتهم اليومية، وانعكس كذلك على طبقة الكتاب والروائيين الذين غيرت الثورة الجديدة نظرتهم للحياة والواقع المعيش داخل كتاباتهم، حيث أصبح همهم الوحيد هو إيصال صوتهم للقراء معبرين عن ما تعانیه مجتمعاتهم من ظروف اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية في لباس جمالي بلاغي، وقد تأثرت الرواية العربية بهذا الصراع وأخذت شكلاً جديداً يتناسب وروح العصر "فالرواية تشكيل للحياة في بناء عضوي يتفق وروح الحياة ذاتها، ويعتمد هذا التشكيل على الحدث النامي الذي يتشكل داخل إطار وجهة نظر الروائي."¹⁴

إن الرواية الغربية المعاصرة انعكست آثارها على الرواية العربية وتجلت ذلك في شكلها ومحتواها، أنتجت الظروف والمتغيرات الحاصلة في العالم على جميع الأصعدة، وقد تبني هذا الجنس المرن مهمة تبطين العضلات الحياتية خلف الجمال الأدبي، وتعتبر الرواية " من أهم السرديات بوصفها مادة كثيفة وغنية، وفضاء يتسع لحمولات ثقافية عميقة ومتعددة بطريقة تشكيلها وطبيعتها تناولها، حيث أنّ الرواية مساحة أدبية تكاد تكون الأكثر بين فنون الأدب اتساعاً لهواجس الإنسان وقلقه الدائم، وتأملاته في الحياة، وطموحه المتجدد".¹⁵

وتمثل الرواية الجزائرية المعاصرة والنسوية بوجه خاص جنسا مستحدثا في خارطة الإبداع الروائي الجزائري، وفي الخطاب السردى النسوي العربي المعاصر عموما، حيث "سلكت العديد من الكاتبات الجزائريات طريق الكتابة الروائية سبيلا من أجل إثبات الكيان المختلف والهوية المتميزة، وكذا التحرر من مختلف أشكال الإلغاء والقهر والإقصاء والاستلاب باعتبار الكتابة عملية تحرير وتنوير وتجسيد للتجربة والمعاناة وإشباع لحاجات وتصورات وأحلام وكشف للمكبوت والمسكوت¹⁶، فالمناخ الثقافي الذي أفرز جيل كاتبات الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي وأثر في ممارستها لهذا النوع الأدبي يقترن بمرحلة استقلال الجزائر، من فرص التعليم وإمكانات العمل تحقيقا لذاتها وتأكيدا لهويتها".¹⁷

فالاستعمار الفرنسي طمس هوية وأصالة الشعب الجزائري واتباع سياسة التنصير والتجويج والتجهيل حيث كان لهذه السياسة الأثر السلبي خاصة على المرأة، فبرزت كاتبات جزائريات أبدين استياءهن إزاء وضع المرأة الجزائرية، فبرزت كتاباتهن باللغتين الفرنسية والعربية.

وتعد "أحلام مستغاني" رائدة الكتابة الروائية وطنية وعربية، وأول كاتبة جزائرية تكتب باللغة العربية في روايتها الموسومة بـ"ذاكرة جسد" عام 1993 والتي هي نموذج هذه الدراسة، تناولت فيها الروائية أهم قضايا الوطن بعد الاستقلال الوطني المتنوعة في ظروفها، ولهذا "تحتفظ" ذاكرة الجسد" بريادة الرواية النسائية الجزائرية، وقد برزت للوجود على درجة كبيرة من النضج، قافزة على كل المراحل التطويرية التي يمكن أن يمرّ بها أي روائي في إصداره الأول"¹⁸، حيث ولدت الرواية في زمن العشرية السوداء وما نجم عنها من تقلبات في وضع البلاد أدى إلى زعزعة الأمن القومي داخلها، بسبب اشتداد الأزمة السياسية آنذاك و الذي دفع بالدولة الجزائرية إلى دخول نفق أسود صعب الخروج منه، وتلك الأوضاع المظلمة أحدثت خدشا عميقا في نفسية الكاتبة دفعت روحها الوطنية ووعها بأحداث بلدها إلى مشاركتها في نهضته وذلك "لوعها الحاد بالمرحلة الزمنية التي تمرّ بها الجزائر وتفهمها لضرورة الخروج من الأزمة، وذلك بالمواجهة الذاتية والنقد الجريء للأسباب التي أوصلت الواقع إلى ما هو عليه"¹⁹، فوعي الشعوب لا يكون إلا بدفعات إيمانية وخطابات قوية تهزّ النفوس وتوقظها، وتختلف الخطابات باختلاف مجالات المخاطب، وقد استخدمت "مستغاني" الجنس الروائي لإيصال صوتها للمواطن القارئ معتمدة على الرّمز الذي يعد عنصرا أساسيا من عناصر الرواية العربية المعاصرة وبسط نفوده داخل العمل الأدبي، فهو يعد "جسرا لعبور أفكارها الثورية وانفعالاتها المتوترة على اعتبار الرمز ثورة روحية على قصور الكلمة في نقل الأحاسيس والأفكار وثورة على الرأي القائل بأن الأديب لا يمكنه أن يكتب عما لا يراه أو يسمعه أو يشمه".²⁰

مستغاني بالرغم من غربتها عن الوطن إلا أنّ هذا لم يمنعها من مساهمتها الفعالة ومشاركتها الجادة في صحو الشعب للدفع به إلى بر الأمان.

ثانياً: في مفهوم العتبات النصية

بما أن العتبات النصية (النصوص الموازية) همسات البداية لكل عمل أدبي اعتبرت من أهم القضايا التي يطرحها الوعي النقدي الجديد نظراً لفاعليتها وقيمتها المعرفية وأهميتها في إضاءة النص وكشف أغواره، حيث أضحت هذه العملية سواء في المنجز النقدي الغربي أو العربي حقلاً معرفياً قائماً بذاته، إذ أسهم الحقل المعرفي الجديد في إثارة العلاقة الموجودة بين العتبات النصية والنصوص المحيطة أو المجاورة للنص المركزي ليصبح مفهوم العتبة مكوناً أساسياً وجوهرياً له خصائصه الشكلية ووظائفه الدلالية وقيمه الثقافية والأيدولوجية التي تحملها والتي تعمل على مسألة هذه المصاحبات ومحاورها وفق علاقاتها لبنية أفق التوقع، وقد سلطنا الضوء في هذه الورقة البحثية على العتبات باعتبارها جسراً للدخول إلى فضاء النص، ونوافذ تطل عليه تحمل بين طياتها حمولة ثقافية مطمورة بين ثناياها تحتاج إلى منهج نقدي يتماشى وزمن الكتابة، " وقد جاء النقد الثقافي ليدرس الأنساق الثقافية في الخطاب باعتباره صادراً عن بيئته وتاريخه وثقافته، إذ يتوغل في عمق النص ليظهر القيم الحقيقية له، والعلاقات التي تقوم عليها ويقوم بتحليلها للكشف عن الإشارات والدلالات التي يرمي إليها." ²¹

وقد حظيت العتبات باهتمام بالغ في الدراسات النقدية الحديثة بوصفها من المفاهيم النقدية في الدرس النقدي العربي المعاصر، فضلاً عن الرغبة لدى النقاد في التفاعل مع مستجدات النظريات النقدية الحديثة، والاستفادة من منجز النقد الغربي الذي اهتم بالعتبات النصية ضمن الدراسات الموسعة لمفهوم النص في النقد الغربي، فظهر مصطلح "المتعاليات النصية" الذي يضم بدوره مصطلح (الموازي النصي) الذي ترجم إلى العتبات النصية، إذ به نبه "جيرار جينيت Gerard Genette" إلى قدرة النص على إقامة علاقات مع النصوص المحيطة به أو النصوص المتعالية، مما أحدث تطوراً في الرؤية النقدية للنص، وأسهم في تقديم موضوعات جديدة لم يهتم النقد بها سابقاً ومنها دراسة العتبات التي تشمل العناوين، الإهداءات، التوقعات، المقدمات، الملاحظات وغيرها. ²² ولموقعها الهام في فضاء النص، فقد كان للغرب الفضل والسبق في طرح موضوع العتبات طرحاً عقلياً وتنظيمه نظرياً وتطبيقياً، حيث كانت الانطلاقة الممنهجة والفعالية مع "جيرار جينيت Gerard Genette" في كتابه "العتبات" ويعرفها بأنها "نمط من أنماط المتعاليات النصية والشعرية عامة يتشكل من رابطة هي عموماً أقل ظهوراً وأكثر بعداً عن المجموع الذي يشكله عمل أدبي". ²³

أما "جاك دريدا Jacques Derrida" فقد أشار في كتابه عام 1972 وهو يتكلم عن خارج الكتاب الذي يحدده بدقة الاستهلاكات والمقدمات والتمهيدات والافتتاحيات إياها، فهي دائماً تكتب لتنتظر محوراً الأفضل لها أن تنس، لكن هذا النسيان لا يكون كلياً فهو يبقى على أثره فيلعب دوراً مميزاً في تقديم النص لجعله مرئياً قبل أن يكون مقروءاً. ²⁴

في حين "باسمه درمش" تفر بأنها تتناول العتبات على أنها طرف تأخذ بيد المتلقي بقولها: "وهذه العتبات هي التي ستقود القارئ المتلقي إلى مركز الانفعالات وحركية الحياة في مسالك النص، وسينتج عن هذا الطفل التفاعل معها امتلاك الرغبة التي ستدفع إلى البحث عن كل ما يتعلق بها بين ثنايا النص نفسه". ²⁵ ونظراً لأهميتها من النصوص فلا يمكننا الدخول في المتن قبل المرور عند عتباته.

أما "سعيد يقطين" يعرفها على أنها: "عملية التفاعل ذاتها وطرفاها الرئيسيان هما النص والمناس، وتتحدد العلاقة بينهما من خلال معي المناص كبنية نصية مستقلة ومتكاملة بذاتها، وهي تأتي محاورة لبنية النص الأصل كشاهد تربط بينهما نقطتا التفسير أو شغلها لفضاء واحد في الصفحة عن طريق التجاور."²⁶ ولهذه الأهمية التي تكتسبها العتبات فإننا ارتأينا دراسة عتبي العنوان والإهداء في رواية "ذاكرة الجسد" لـ "أحلام مستغاني" بهدف كشف الدلالات الثقافية المندسة خلف الجمالي وما تحمله من مضمرات، وقراءة ما خلف السطور بالاستعانة بأدوات النقد الثقافي، وهل استطاعت مستغاني إخفاء الثقافة وراء شاعرية كتاباتها داخل النصوص الموازية، "فالنص الأدبي عموما يرتبط ارتباطا وثيقا بدلالات ثقافية أسهمت في تشكيل مجرياته الحديثة والفنية."²⁷ فالنقد الثقافي يتجاوز البحث في جماليات النصوص الأدبية، بل يبحث في قبليات هذا الخطاب، وعلى هذا الأساس يصبح النقد الثقافي أشمل وأوسع من النقد الأدبي، وإن استعان بأدواته ومركزاته²⁸، وتعد الرواية من الأجناس الأدبية التي حظيت بالاهتمام من قبل الكتاب والروائيين لكونها الفضاء الذي وجدوا فيه متنفسهم في طرح قضايا الأمة والوطن والمجتمع، فهي "فن مرن تمتاز بقابليتها للتشكل وفق هوى مؤلفها وبمساحتها غير المحدودة التي تتيح لها معالجة القضايا دون قيود، وبعوالمها القريبة من الحياة اليومية التي تسمح للروائي بتقريب المسائل من الإفهام بعرضها في سياق يشبه سياقها الحقيقي."²⁹

وتعتبر فترة ما بعد الصحوة / ما بعد الحداثة / زمن الثورة الثقافية ضد القيم المضادة وإبرازها تحت غطاء الجمالي، وهذا ما وضحه "عبد الله الغدامي" قائلا: "ثم جاءت الصحوة في 1987، وحصل انفجار ذهني تبين معه أن للغموض مضار فادحة، وهنا بدأ تعديل الخطاب بحيث تضع اعتبارا لشروط الاستقبال حين تدرك أن المرسل إليه لم يعد مستسلما لنخبويتك، بل صار كائنا سرشا يحاسب وينتقد."³⁰ فلم تقتصر الكتابة الروائية على الكتاب الرجال فقط، بل شغلت المرأة كذلك هذا الجانب وخلقت لنفسها مجالا خصبا في العمل الأدبي، فتناولت الخطابات النسوية العربية بعامة والجزائرية بخاصة "ضرورة معرفية باتت تستوجب الإصغاء إلى كل الأصوات النسوية التي ساهمت في تأسيس خطابات التحرر من الخلل الحضاري، وتصحيح المسار التاريخي."³¹

وتعد الكاتبة الروائية "أحلام مستغاني" من الكاتبات اللواتي طرحن القضايا السياسية والاقتصادية وشؤون المرأة ودورها في المجتمع الجزائري وذلك ما برز في مؤلفاتها القيمة، "ولا يشجع على دخول في مثل هذا الطريق إلا من شق أرضه وخرج منها كجني يتحدى بأناقة ورشاقة الأسلوب أحيانا، وبانهار سكين النقد العنيف أحيانا أخرى في أول رواية نسائية جزائرية هي رواية "ذاكرة الجسد" عام 1993³² ثالثا: عتبتا الرواية وسلطة النسق المضمرة.

نسعى من خلال هذه القراءة كشف المضمرات الثقافية داخل عتبي العنوان والإهداء في رواية "ذاكرة الجسد" لـ "أحلام مستغاني"، وإبراز الأنساق الثقافية المهيمنة والمخبوءة خلف الجمالي.

1- عتبة العنوان (التاريخ والجسد):

يعتبر العنوان أحد العتبات النصية التي أخذت مساحة وافرة من اهتمام المناهج النقدية الحديثة والذي "يعد الركيزة الأساسية لمعرفة النص، فمثلما نسى الأشخاص فإن العنوان يعني الاسم للكتاب"³³، و باعتباره المفتاح الأساسي والمركزي الذي يمكن الولوج به إلى المتون السردية، فهو أهم عناصر النص الموازي para

texte, حيث يعد "لوي هويك" أحد أكبر المؤسسين المعاصرين للعنوانيات والذي حدد فيه الجهاز المفاهيمي للعنوان ومعالجه التحليلية³⁴, وعليه فالعنوان نص مقروء يحمل دلالات يجعله نصا مستقلا بذاته، ولهذا يعتبر العنوان الرئيسي الموجود على صفحة الغلاف الأولى من أهم العتبات في الكتابة المعاصرة، فهي تخطف الأنظار وتلفت الانتباه لجلب القارئ لغياب النص.

ومن خلال قراءتنا لعنوان الرواية، حاولنا أن نحدد الأنساق المضمرة والمهيمنة، مع ذكر الدلالات العميقة المندسة في ثناياه، حيث نجد أن "مستغاني" صاغت العنوان من كلمتين متناقضتين ربطت المعنوي المحسوس بالمادي الملموس، فالذاكرة إذا ما حللناها بالمعنى الظاهري بأنها الوعاء الداخلي في الجسد، والذي يخزن كل ما مضى من حياة الشخص لينساه ويتلاشى مع مرور الزمن وتموت داخله بتجدد الحياة بمواقفها وأحداثها المتقلبة، في حين ذاكرة "مستغاني" بهذا الفعل الكتابي أحييت الأشياء الماضية التي مرت عليها فترة من الزمن، ليتجدد داخل هذا المعمار السردي من خلال ترتيب أحداثه وشخصياته على حسب الفكرة المراد حيكها زمانيا ومكانيا، (فالذاكرة = النسيان) و (الكتابة = الحياة)، فلفظة النسيان بمجرد أن وقع عليها فعل الكتابة أحضرت التذكر ولو نسبيا، لأن في الكتابة حياة وبقاء، فإما أن نكتب لنفرغ ما بجعبتنا ونفرغه في وعاء خارجي، وهذا لا يحدث إلا بفعل الكتابة ينتهي بمجرد سيل حبر القلم على الورقة، في المقابل هناك من ينبش في ذاكرته ويستحضر الأشياء القديمة ليدونها وترسخ عبر التاريخ لتمنحه الاستمرارية، وتبقى حية بحياة قرائها، حيث أصبح الكاتب في عصر ما بعد الحداثة يعادل المؤرخ في وظيفته، وتبين "خصوصيات قراءة خطاب النقد الثقافي في الفكر العربي المعاصر خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، والوقوف على حقيقة مكاسب ما دعوا إليه من إعادة كتابة للتاريخ الثقافي العربي الذي يمثل بالنسبة إليهم المدخل الضروري لقيام حراك ثقافي عربي يتخطى الأبنية الماضية الجامدة الفاعلة سلبيا في الواقع العربي اليوم"³⁵ فالواقع العربي أصيب بتبعية عمياء للآخر فقد فيها هويته ومعالجه القومية تستدعي نهضة فعلية لإبعاد ثقافة الغرب عن مجتمعنا العربي الإسلامي بتحريض القراء ونشر المواقف والوقائع المشرفة عبر هذا الجنس الأدبي، "فالكتابة الروائية تعتبر بمثابة تجسيد لرؤية فلسفية للإنسان والعالم تعكس المفارقة القائمة بين الطموح والواقع"³⁶، وهذا ما تسعى "مستغاني" تجسيده في هذه الرواية التي نجد بها تداخل زمني بين الماضي الكولونيالي والحاضر الأليم، هذا التزاوج خلق متضادات كبيرة واضحة في عنوان الرواية، حيث اعتمدت الرواية على ثنائية الظاهر والباطن، روح تحمل في باطنها ما عانت من مواقف تاريخية راح ضحيتها هذا الجسد الذي يعتبر شاهدا على تاريخ الجزائر أثناء وبعد الثورة، فترة اتسمت بتك بصمات في الذاكرة التي انغرست داخل هذا الجسد لا إراديا، تتعمق في وجدان الكاتبة، وتترك في نفسها أثرا بحسب تعلقها ببيئتها التاريخية والاجتماعية، فيظهر النسق الثقافي متسلطا داخل إنتاجها الأدبي بعمق ذلك الأثر، بالرغم من مرور فترة من الزمن وتغير الأوضاع، فهذه الحياة للذاكرة ما هو إلا ضرورة حتمية للإشادة ببطولات شعبها التاريخية ومعالجه الثقافية العربية، بغية إحياء التراث التاريخي.

وبما أن الرواية العربية المعاصرة أصبحت خزانة الأحداث التاريخية لتدوين وتأريخ الأحداث، مما جعل من الكتاب والروائيين ينكبون على البحث في ماضيهم والتبش داخل ذكرياتهم لإخراجها للقراء في شكل جنس روائي الذي يعتبر من أسس الكتابات المعاصرة، "وهذا ليس غريبا على تاريخ الجزائر الحافل بالأحداث القادرة على إلهام فن روائي تاريخي عظيم"³⁷، فالكاتب في العصر الحالي أصبح همه الوحيد تصوير حياة الإنسان وعرض

أحواله العامة، " ولهذا كان دور الروائي المثقف أساسيا في الدفاع عن القيم الإنسانية وفي الثورة على القيم المضادة معا.³⁸ ومثل أي رواية نسوية جزائرية من اللواتي أخذن على عاتقهن طرح القضايا التي شهدتها فترة ما بعد الثورة والتزامهن بقضايا الوطن، "مستغاني" جسدت في روايتها - نموذج الدراسة- الأوضاع السابقة للثورة التحريرية إبان فترة الاستعمار وما بعده، مجسدة بناءها السردية على خصائص الرواية العربية المعاصرة بأسلوب فني راق بشهادة النقاد المتخصصين بغض النظر عن قيمتها الثقافية، فالتقنيات السردية المعاصرة تتطلب من الروائي إبداعا فنيا وحنكة في صياغة الأحداث وإدراجها في سياق جمالي محكم البناء، يتسم بالغموض، وذلك بتوظيف الرمز بشكل لا ينفرد القارئ، بل يجذبه ويدفعه للبحث عن المسكوت عنه وعن الدلالة الخفية للمعنى المقصود، "وقد اتخذت رواية المرأة الجزائرية الرمز في كثير من الأحيان جسرا لعبور أفكارها الثورية وانفعالاتها المتوترة"³⁹، وهذا ما نسعى لتحقيقه من خلال هذه القراءة النقدية الثقافية لعتبتي رواية " ذاكرة الجسد".

وإذا ما تأملنا في الجزء الثاني من العنوان والمحبوكة بنمط الكتابة الرمزية، نلاحظ حضور الجسد بقوة، وبتمثلاته الثقافية المتباينة، فإذا ما نظرنا إلى الذاكرة من منظور تاريخي مرتبط بزمان معين، فإن الجسد يعبر عن المكان والوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه السارد للرواية، باعتبار "الجسد واقعة اجتماعية ومن ثم هو واقعة دالة يدل باعتباره موضوعا، ويدل باعتباره حجاجا إنسانيا، ويدل باعتباره شكلا، إنه علامة وككل العلامات لا يدرك إلا من خلال استعماله، وكل استعمال يحيل على نسق، وكل نسق يحيل على دلالة مثبتة في سجل الذات وسجل الجسد وسجل الأشياء. إن أي محاولة لفهم هذه الدلالات والإمساك بها يمر عبر تحديد مسبق لمجموع النصوص التي يتحرك ضمنها ومعها وضدها."⁴⁰

فالجسد من الناحية الظاهرة هو بناء فيزيولوجي مكتمل الأجزاء مرتبط أشد الارتباط بالمكان والبيئة التي ترعرع فيها مخلقة فيه آثارا بالغة داخل وجدانه، ويعد "المكان أولى تجليات الواقع على اعتبار أن هناك علاقة وطيدة بين الإنسان والمكان، فكلاهما يؤثر في الآخر، ومن هنا اكتسبت الأماكن في علاقاتها مع أناسها خصوصية تشكلت من تعاقب وتبادل التأثير بين الناس والأمكنة حتى صارت تلك الآثار جزءا من الوعي العام للإنسان في ذلك المكان.⁴¹ وقد اشتغل الروائيون في العصر الحديث على تمثيل استلهاما تهم التخيلية داخل القالب السردية الروائي بالاستعانة بالجسد باعتباره أحد الرموز الأساسية في بناء العملية السردية للرواية العربية المعاصرة والذي من خلاله تتشكل الأنساق الثقافية في الإنتاج السردية والتي بدورها تخلق تراكمات ثقافية عند السارد، فهذه التركيبة البيولوجية أحدثت ضجة كبيرة في العالم الروائي عربيا خاصة وعالميا بعامة للقيمة الدلالية المتباينة التي يتميز بها.

وللجسد تمظهرات كثيرة في شكله داخل العمل الروائي، يجسد على حسب الدلالة التي يريد الكاتب تمثيلها عليه إما كليا أو جزئيا، وهذا كله يتوقف على حسب المجريات العامة للرواية، فمن غير الصحيح أن يقتحم القارئ أي رواية حديثة دون أن يكون على علم ودراية بخصائصها ومكوناتها الجديدة، لأنه سيقع في تذبذب واضطراب فكري وممكن جدا يظلم الكاتب/ الكاتبة في قراءته للرواية، ولا نستطيع في هذا الموضوع تحديد دلالات الجسد حتى نتعمق داخل المتن الروائي والكشف عن دلالاته.

ومما سبق ذكره في قراءتنا لعتبة العنوان لرواية "ذاكرة الجسد" لـ "مستغاني"، والتي حاولنا الكشف عن سلطة النسق الثقافي بآليات النقد الثقافي، حيث تبين أن من خلال الفهم الجيد للعنوان يكشف القارئ نية النص حتى قبل أن نلج الفضاء الداخلي له، فاسم الكاتبة وعنوان روايتها يكفيان بأن يرسم معالم واضحة ولو نسبيا عما يوجد بداخل المتن قبل قراءته والبحث عن السر المدفون بين أحضان النص الروائي.

2- عتبة الإهداء (اللغة والهوية):

الإهداء هو تقدير من الكاتب وعرفان يحمله للآخرين سواء كانوا أشخاصا أو مجموعات، وهذا الاحترام يكون إما في شكل مطبوع وإما في شكل مكتوب يوقعه الكاتب بخط يده في النسخة المهداة⁴²، و يعتبر من النصوص الموازية للعمل الأدبي بل ومكوّن من مكونات محيط النص، فهو جسر التّواصل بين الأنا والآخر يبدي من خلاله الكاتب تقديره وعرفانه للجميل من خلال هذه العتبة التي "تتموقع عادة في الصفحة الثانية بعد الغلاف، فهي من وضع كاتب النص لا من وضع الذات الساردة، كما يشير في ذلك بعض النقاد"⁴³.

كما يعدّ الإهداء تقليد عريق عرف منذ امتداد العصور الأدبية بأشكال مختلفة من أرسطو إلى الآن موطدا موثيق المودة والاحترام والعرفان وحتى الولاء، فهناك الإهداءات العائلية التي تكون من الكاتب إلى أهله وأقاربه، وكذلك الإهداءات الإخوانية التي يكون فيها الإهداء موجها للأصدقاء والأصحاب حاملا لهم من خلاله كثيرا من المودة، ونجد أيضا ما يعرف بالإهداءات العامة الموجهة للهيئات والمؤسسات والمنظمات والرموز التاريخية والثقافية، فكل ما تحمله إهداءات الكاتب هي عرفان منه بجميل ما قدمه هؤلاء (المهدى إليهم) من عون معنوي أو مادي⁴⁴.

فعلى مستوى عتبة الإهداء في رواية "ذاكرة الجسد" نلاحظ أنّ الكاتبة طمرت في جوفه جملة من القضايا التي أحدثت ضجة كبيرة بعد الاستقلال خاصة قضيتا اللّغة والهوية اللتان تعدّان من رموز الدولة الجزائرية، والتي تسلّطت بشكل كبير على هذه العتبة، فالروائية ضمّنت هذا الإهداء بحسب الأنواع التي وضّحتها "جيرار جينيت" والمفصلة أعلاه إلى قسمين أولهما موجه إلى الروائي الكبير "مالك حداد"، بحيث يصنف من ناحية أنواع الإهداء المعتمدة إلى الإهداءات العامة، بينما يصنف القسم الثاني إلى الإهداءات الخاصة (العائلية) الكلاسيكية التي يستثني فيها الكاتب الوالدين والأقارب، فإذا ما حددنا الإهداء في مفهومه البسيط بأنه "أحد الأمكنة الطريفة للنص الموازي التي لا تخلو من أسرار تضيء النظام والتقاليد الثقافيين لمرحلة تاريخية محددة، فيما تعضد حضور النص ونؤمن تداوليته، أسرار تصبح مضاعفة عندما تتعلق بتحوّلات الإهداء ذاته في علاقته بمحافل ثقافية (مرسل الإهداء والمهدى إليه) وبالسياق الثقافي والتاريخي لفعل الإهداء"⁴⁵ فإن الكاتبة (ة) تجعل من هذه العتبة الداخلية للنص ذات فاعلية نصية لما تحمله من دلالات عميقة محكمة البناء بشقيها الظاهري والباطني يستدعي من القارئ اعتماد آليات وأدوات إجرائية محكمة للوصول إلى المعنى الخفي، وهذا لا يتحقق إلا بعد تفكيك النص وتشريحه قصد كشف المعاني المستورة ومخفية خلف اللغة التعبيرية الجمالية والفنية، وإبراز مدى فاعليتها وسطوتها داخل العمل الأدبي.

وبما أن الإهداء من العتبات النصية الشخصية أي الخاصة في بنائها بمؤلفها، حيث تنبع من وجدانه وأحاسيسه الصادقة، والتي يصبّ فيها الكاتب أعرق عواطفه ومكنوناته المكبوتة داخله، فـ "مستغاني" في روايتها "ذاكرة الجسد" خصّصت إهداءها لرجلين أحدهما كاتب افتتحت به إهداءها، والآخر والدها الذي أهدته عملها،

حيث جعلت بينهما عامل مشترك ألا هي اللغة العربية، وهذا ما سنفصله ونحلل معانيه وتأويلاته بإبراز المعنى المنشود منه من المنظور الثقافي.

إلى "مالك حداد" أول ما افتتحت به الكاتبة إهداءها والمنتمى إلى الإهداءات العامة، هذا الروائي الجزائري الذي أبدع في انتاجاته الروائية الأدبية المكتوبة باللغة الفرنسية بحكم التسلط الكولونيالي آنذاك، فتفنن فيه وأبدع وذاع صيته في هذا المجال، وبعد أن نالت الجزائر استقلالها وتحزرت من الاستعمار الغاشم وأصبحت حرة أبية حوّلت "مالك حداد" كتابته من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية حفاظاً على لغته وهويته العربية الجزائرية وكسر قيود الانتماء و عدم التبعية للآخر الكولونيالي الذي فرض عليهم ذلك، لأنه آن للجزائر أن تستعيد مقوماتها وأصالتها، وتعيد مجد اللغة العربية التي غابت وهمشت منذ زمن بعيد، وهذا لن يجسد داخل المجتمع إلا إذا اتحد مثقفوها بترك ثقافة المستعمر وإحياء رموز الدولة الجزائرية بكل مقوماتها وثقافتها وأيديولوجياتها، ونبذ السياسة التي غرسها المستعمر في أذهان الشعب الجزائري إبان الفترة التي مكث فيها داخل هذه الأرض الطاهرة، ويعدّ الروائي "مالك حداد" من الروائيين الذين نادوا بترك لغة العدو والتهوض بلغة الأم والمحافظة على هويتنا الوطنية وأقسم بذلك وعياً منه بمدى حبّه الشديداً لوطنه الأم حيث تقول "مستغاني" في ذلك "الذي أقسم بعد استقلال الجزائر ألا يكتب بلغة ليست لغته"⁴⁶.

كما دعت "مستغاني" من خلال هذه العتبة إلى وضع اليد باليد لتثبيت الثقافة الإسلامية والتّشبيث بها لإقامة دولة جزائرية ليست فقط مستقلة من المستعمر الذي هو شيء مادي بل دعوة للتحرر الفكري اللّعين الذي غرسه السياسة الكولونيالية ونشرتها بأساليب مختلفة قبعت في عقل وذهنية الفرد الجزائري بغية التّخلص من التبعية اللعينة والتّطلع إلى مستقبل زاهر نمجّد فيه وطننا ونسمو بفكرنا العربي الإسلامي، وهذا لن يتحقّق ما لم نتوحّد وننسجم بين بعضنا البعض لبناء وعي جديد خال من أيديولوجيات غريبة والالتزام بثقافة المجتمع الإسلامي "من أجل تحقيق دولة قومية متحررة من التجزئة والتبعية والتخلف"⁴⁷.

فاللغة رمز من رموز أي دولة وأساس قيامها، فيها ترفع الأمم أو تسقط، هي ليست وسيلة للتّواصل أو الخطاب فقط وإنما هي ركيزة صلبة وقوية، وذكر "مالك حداد" اللغة بالتحديد لقيمتها الجوهرية التي بها تتحدّد هوية الفرد وتحدّد انتمائه بعد أن كان لا لغة ولا هوية له، فتورّة ما بعد الحداثة أثارت زعزعة في العالم كله مطالبة بالتحرر الإنساني و"عودة الهويات الأصولية"⁴⁸ وهذا منوط بنهضة الطبقة المثقفة الواعية بمجريات الأحداث والمتغيرات الحاصلة في العالم فترة الصحوة وما بعدها، وبالرجوع إلى عتبة الإهداء داخل الخطاب السردي في رواية "ذاكرة الجسد" وفي استنطاقنا لمكوناتها المندسّة تحت سطورها نلمس صورة المثقف فيها بحكم توجيه هذا الإهداء لفئة معينة من فئات المجتمع ألا هو "المثقف" الواعي بأحداث وقضايا المجتمع والمشارك فيها والملتزم بها قلباً وقالبا، والروائيين نجدهم أكثر الأشخاص دفاعاً على القيم الإنسانية والقومية ذلك "أن الروائيين والأدباء إجمالاً ليسوا أصحاب مصالح، وبالتالي لا يجدون أنفسهم في تناقض مع القيم الإنسانية، فعالم الأدب والفكر الذي ينتمون إليه هو عالم هذه القيم، وهم حين يدافعون عنه إنما يدافعون عن هويتهم."⁴⁹

وتواصل "مستغاني" حديثها على "مالك حداد" بلغة انزياحية تعكس قدرتها الكتابية في التلاعب بالألفاظ وتوظيفها في شكل جمالي شاعري بقولها: "فاغتالته الصفحة البيضاء..."⁵⁰ هذه الصفحة التي اعتادت على لغة

العدو فتسلطت عليه وعلى أفكاره وجعلته حبيسة لها، فالسلطة الاستدمارية طمست هويته وجعلت من "مالك" تابعا لها، فالورقة باعتبارها شيئا ماديا ملموسا قذفت فيها مستغاني روحا تشعر وتحس بما يقع عليها من سيل حبر اعتادت على لمسته الغربية (الفرنسية)، فبمجرد تغيير اللغة والانتماء رفضت وجمدت سطورها بل واغتالها بتعبير مستغاني، هذا الرفض واقع مر خلف أمراضا نفسية خطيرة على سلوكيات الفرد والمجتمع، نتج عنه ظهور معالم ثقافية كولونيالية في حياتنا اليومية مخالفة تماما لتعاليم ديننا وثقافتنا العربية، وما "مالك حداد" إلا نموذج حي لمخلفات السياسة الاستعمارية.

الروائي "مالك حداد" تمسك بهويته الوطنية وبلغته الأم، واعتز بانتمائه حتى بعد موت إبداعه الروائي المكتوب باللغة الفرنسية ومات مقهورا لعدم قدرته على تحرير سردي روائي بلمسة عربية، مات محبا وعاشقا لها ومخلصا لدينه ووفيا لوطنه، "لأن أول ما يلاحظ على الرواية الجزائرية التي ظهرت في العقد السابع والثامن من القرن العشرين هذا الالتزام باللغة العربية الفصحى من قبل كتابها".⁵¹ فهي دعوة عامة موجّهة لأبناء الوطن بتوعيتهم بخطورة ما آلت إليه الأوضاع و ذلك بعدم الاستسلام للظلم والاضطهاد وسياسة القمع والتطبيع لمحو معالم الهوية الجزائرية العربية، وهذا لن يتحقق إلا بالاتحاد والإيمان القوي لكسب طاقة جديدة مليئة بثقافة إسلامية عربية، ولهذا سعى الكتاب والروائيين إلى الالتزام بقضايا الوطن التي انتشرت بعد الاستقلال بصورة فنية وبلاغية وذلك بتسللها وهيمنتها داخل الأجناس الأدبية وبخاصة الجنس الروائي باعتباره "فن مرن، ففيه تمتاز بقابليتها للتشكل وفق هوى مؤلفها، وبمساحتها غير المحدودة التي تتيح لها معالجة القضايا دون قيود، وبعوالمها القريبة من الحياة اليومية التي تسمح للروائي بتقريب المسائل من الإفهام بعرضها في سياق يشبه سياقها الحقيقي".⁵²

والمقصود هنا الروائي المثقف لأنه من الصعب تحديد تعريف شامل للمثقف فهذا يحتاج منا إلى تفصيل، لذا نكتفي بهذا القدر من تحليلنا للمثقف ودوره القّعال في دفاعه عن القيم الإيجابية ونشرها على أوسع نطاق.

كما نلمس في هذه العتبة التمسك الروحي بمدينة قسنطينة حيث تقول الروائية: "ابن مدينة قسنطينة"⁵³ فهذه المدينة العريقة والأصيلة والمحافظة، مدينة الجسور المعلقة، مدينة الدين والثقافة، مدينة العلم والعلماء، قسنطينة ليست قطعة جغرافية تنتمي إلى بلادنا الحبيبة وإنما تحمل دلالة ثقافية تدل على الأصالة والهوية، فالمكان مشحون بالدين والعادات والتقاليد والقيم الإنسانية، فمستغاني لم ترد لفظة الأرض بعد اسم الروائي اعتبارا، فحتى في واقعنا المعاش إذا أردنا معرفة التكوين الثقافي والفكري لأي شخص نبحت عن مكان نشأته، لأن الموضوع الذي ترعرع الشخص فيه له أثر عميق في هويته وسلوكه، وينعكس ذلك داخل إبداعه الأدبي الذي يطمر بجوفه النتاج الثقافي والفكري المنتهي إليه، فقسنطينة مدينة تاريخية مليئة بالثقافة والتعليم، فالمكان المرتبط بالتداعي النفسي الذي يقبع في الذاكرة حتى ولو اعتزلنا عنه يبقى معنا وفي خيالنا دائما ومرسخ في ثنايا ذاكرتنا، فالحنين يعيدنا إلى ماضينا كلما نبشنا في الصّور والمشاهد المخزونة في ذاكرة كل جسد تثير مشاعرنا النفسية التي بدورها تجعل من حواسنا تشتاق لكل شبر من المكان الذي نشأ فيه.

وإذا ما انتقلنا إلى الإهداء الخاص الموجه إلى والدها بقولها: "إلى أبي" تتمخض عن هذه الكلمة التساؤل التالي: لماذا اختارت مستغاني أباه دون غيره من الأسرة؟ لماذا لم تهدي لأمها مثلا أو لإخوتها؟ وما علاقته بهذه الرواية؟

والد الروائية " أحلام مستغاني" رجل من حماة الوطن، عاش وشاهد على ما فعل المحتل في بلاده الجزائر بالرغم من مكوثه في الشقيقة تونس إلا أنه مارس جهاده السياسي وباستقباله الحسن للثوار ودعمه الكبير للثورة خاصة في أحداث 08 ماي 1945 التي راح ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد، " كان أحد المقاومين لاحتلال الفرنسي ولكونه مطلوباً لدى السلطات الفرنسية لمشاركته في أعمال المقاومة فر مع أسرته إلى تونس حيث عمل بها مدرسا للغة الفرنسية وقد قدر أن تولد ابنته الأولى أحلام في بيئة مشحونة بالعمل السياسي وذلك قبل اندلاع الثورة عام 1954 بسنوات قليلة."⁵⁴

أما "مستغاني" فقد وجهت هذا العمل إليه قصد رد الجميل والعرفان لوالدها الذي يعتبر ذاكرة ثورية تحمل تاريخ الثورة الجزائرية وما بعدها، والذي له الفضل في رسمها داخل مخيلة الروائية على شكل صور ومشاهد لتضمنها جميعا في هذا العمل الروائي وتسرد أحداثها بلغة عربية محملة بأنساق ثقافية مضمرة مغلفة بالجمال الفني، وقدرة الساردة في تحكمها الفعلي في الكتابة الروائية المعاصرة.

خاتمة:

من خلال المقاربة النقدية الثقافية لعتبتي العنوان والإهداء في رواية " ذاكرة الجسد" نستخلص مجموعة من النتائج والتي هي كالآتي:

- تبين من خلال قراءتنا لهذا العمل وجود تنوع ثقافي متباين ومهيمن على مستوى عتبي العنوان والإهداء في الرواية، وذلك بعد استنطاقها بآليات النقد الثقافي الذي قام بتعرية المسكوت عنه داخلهما.
- تعد العتبات خصوصا محيطة بالنص الأدبي، إذ لها أهمية بالغة ومكانة مهمة في النص الروائي فهي تساعد القارئ للعبور إلى الفضاء النصي كونها تقدم خطابا معرفيا لا يقل أهمية عن مضمون المتن، ولهذا عند مقاربتنا لها بمنهج النقد الثقافي تبين تفرد كل عتبة بأنساق الثقافية تمكنت من فرض نفسها عليها، فكلها إضاءت تساعد القارئ بأخذ فكرة ولو نسبيا على موضوع الرواية قبل ولوجه لغياب النص.
- قدّم عنوان الرواية باعتباره جسر التواصل بين المؤلف والقارئ والعتبة أولى للنص الأدبي، والذي يتطلب من الكاتب تركيبه وربط علاقاته الداخلية بحرفية كبيرة لكونه يحمل دلالات النص ومن ناحية أخرى لكونه ذا قيمة جمالية يجذب قارئه ويدفع به إلى فضاء النص، فعنوان الرواية - نموذج الدراسة - ضمنت الكاتبة داخله أنساقا تاريخية ماضية مطمورة داخل ذاكرة الكاتبة، ورمزية في اتخاذها لتمثيل أحداث روايتها على الجسد الذي يعتبر حمولة ثقافية متعددة الاستخدامات.
- ساهمت عتبة الإهداء في تضمينها لمضمّنات ثقافية خلف كلمات الشكر والعرفان سواء أكان إهداء عاما أو خاصا، حيث كشفت آليات النقد الثقافي على وجود أنساقا ثقافية ماثورة ومتسلطة بين سطورها خصصنا بالذكر سلطة نسقي اللغة والهوية اللذين يعتبرهما أهم القضايا التي شغلت بال الكاتب

والروائيين في عصر ما بعد الحداثة، قصد النهضة بالوطن وتوعية القارئ بخطورة ما آلت إليه مجتمعاتنا العربية عامة والجزائرية بخاصة من التبعية والتهميش من قبل الآخر (الاستعمار الفرنسي).

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- غالب الفريجات، العولمة والهوية في الثقافة، الآن الناشرون وموزعون، ط 1، 2020، عمان، الأردن.
- 2- سماح عبد الله القران، ثقافة النص (قراءة في السرد اليميني المعاصر)، ط 1، 1436/2016، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان.
- 3- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ط 3، 2005، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان، بيروت.
- 4- يوسف عليمات، النسق الثقافي (قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم)، ط 1، 2009/1430، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد.
- 5- فارس توفيق البيل، الرواية الخليجية (قراءة في الأنساق الثقافية)، ط 1، 2016/1436، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية.
- 6- محمد الأمين لعلاونة، كيمياء الرواية (مقاربات في النقد الثقافي)، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريبيج، الجزائر.
- 7- سعيد الوريقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، 2009، الأزاريطة.
- 8- حفناوي بعلي، جماليات الرواية النسوية الجزائرية (تأنيث الكتابة وتأنيث بهاء المتحيل)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2016.
- 9- بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، دار المغاربية للطباعة والنشر، 2005.
- 10- عبد الرزاق بلال، مدخل على عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، تقديم: إدريس نقوري، إفريقيا، المغرب، 2000.
- 11- عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت (من النص إلى المناس)، تقديم سعيد يقطين، ط 1، الدار البيضاء للعلوم ناشرون، 2008.
- 12- عزوز علي إسماعيل، عتبات النصية في الرواية العربية (دراسة سيميولوجية سردية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013.
- 13- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص السابق)، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، المغرب، 2001.
- 14- لطيف زيتوني، الرواية والقيم، ط 1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2018.
- 15- مجموعة من الباحثين الأكاديميين، تقديم أسعيدة تومي، النقد الثقافي قضايا ورؤى
- 16- عبد الله الغدامي، ما بعد الصحوة (تحولات الخطاب من التفرد إلى التعدد)، ط 1، 2015، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان.
- 17- حفناوي بعلي، أصوات نقدية نسوية في الخطاب الجزائري المعاصر (تغريدات من التهميش إلى التحدي)، ط 1، دار الأيام للنشر، عمان.
- 18- سهام السامرائي، العتبات النصية في رواية الأجيال العربية، ط 1، 2016، كلية التربية، العراق.
- 19- عبد الرحمن النوايتي، السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، ط 1، 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ سماح عبد الله القران، ثقافة النص (قراءة في السرد اليميني المعاصر)، ط 1، 1436/2016، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ص 07.
- ² عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ط 3، 2005، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان، بيروت، ص 08.
- ³ يوسف عليمات، النسق الثقافي (قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم)، ط 1، 2009/1430، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ص 165.
- ⁴ فارس توفيق البيل، الرواية الخليجية (قراءة في الأنساق الثقافية)، ط 1، 2016/1436، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ص 17.
- ⁵ عبد الله الغدامي، مرجع سابق، ص 31.

- 6- المرجع السابق، ص 32.
- 7- يوسف عليومات، النسق الثقافي، مرجع سابق، ص 166.
- 8- فارس توفيق البيل، الرواية الخليجية (قراءة في الأنساق الثقافية)، ص 18.
- 9- يوسف عليومات، النسق الثقافي، ص 166.
- 10- المرجع السابق، ص 166.
- 11- سماح عبد الله الفران، ثقافة النص (قراءة في السرد اليميني المعاصر)، ص 08.
- 12- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 78.
- 13- محمد الأمين لعلاونة، كيمياء الرواية (مقاربات في النقد الثقافي)، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعربريج، الجزائر، ص 07.
- 14- سعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، 2009، الأزاريطة، ص 05.
- 15- فارس توفيق البيل، الرواية الخليجية، قراءة في الأنساق الثقافية، ص 07.
- 16- حفناوي بعلي، جماليات الرواية النسوية الجزائرية (تأنيث الكتابة وتأنيث بهاء المتحيل)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2016، ص 07.
- 17- يوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحدائث السردية في الرواية العربية الجزائرية، دار المغاربية للطباعة والنشر، 2005، ص 65.
- 18- رئيسة موسى كرزيم، المرجع السابق، ص 27.
- 19- المرجع نفسه، ص 29.
- 20- المرجع نفسه، ص 30.
- 21- فارس توفيق البيل، الرواية الخليجية، قراءة في الأنساق الثقافية، ص 07.
- 22- عبد الرزاق بلال، مدخل على عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، تقديم: إدريس نقوري، إفريقيا، المغرب، 2000، ص 23.
- 23- عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت (من النص إلى المناس)، تقديم سعيد يقطين، ط 1، الدار البيضاء للعلوم ناشرون، 2008، ص 44.
- 24- عبد الحق بلعابد، مرجع نفسه، ص 29.
- 25- عزوز علي إسماعيل، عتبات النصية في الرواية العربية (دراسة سيميولوجية سردية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013، ص 41.
- 26- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص السابق)، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص 111.
- 27- سماح عبد الله الفران، ثقافة، ص 07.
- 28- مجموعة من الباحثين الأكاديميين، تقديم أ. سعيدة تومي، النقد الثقافي قضايا ورؤى، ص 16.
- 29- لطيف زيتوني، الرواية والقيم، ط 1، أيار 2018، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ص 10.
- 30- عبد الله الغدامي، ما بعد الصحوة (تحولات الخطاب من التفرد إلى التعدد)، ط 1، 2015، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ص 17.
- 31- حفناوي بعلي، أصوات نقدية نسوية في الخطاب الجزائري المعاصر (تغريدات من التهميش إلى التحدي)، ط 1، دار الأيام للنشر، عمان، ص 9.
- 32- رئيسة موسى كرزيم، المرجع السابق، ص 26.
- 33- سهام السامرائي، العتبات النصية في رواية الأجيال العربية، ط 1، 2016، كلية التربية، العراق، ص 60.
- 34- جبرار جينيت، عتبات النص، ص 66.
- 35- سهيل الحبيب، خطاب النقد الثقافي في الفكر العربي المعاصر، ص 75.
- 36- عبد الرحمن النوايتي، السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية، ط 1، 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 271.
- 37- رئيسة موسى كرزيم، المرجع السابق، ص 203.
- 38- لطيف زيتوني، الرواية والقيم، ص 09.
- 39- رئيسة موسى كرزيم، عالم أحلام مستغاني الروائي، ص 30.
- 40- سعيد بن كراد، السيماتيات، ص 141.
- 41- سماح عبد الله الفران، ثقافة النص، ص 23.
- 42- جبرار جينيت، عتبات النص، المرجع السابق، ص 93.
- 43- حسينة فلاح، الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغاني، المرجع السابق، ص 68.
- 44- المرجع نفسه، ص 94.
- 45- حسينة فلاح، الخطاب الواصف، ص 69.

- 46- أحلام مستغاني، ذاكرة الجسد، ص 5.
- 47- غالب الفريجات، العولمة والهوية في الثقافة، الآن الناشرون وموزعون، ط 1 , 2020، عمان , الأردن، ص 7.
- 48- عبد الله الغدامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المرجع السابق، ص 7.
- 49- لطيف زيتوني، الرواية والقيم، المرجع السابق، ص 8.
- 50- أحلام مستغاني، ذاكرة الجسد، ص 5.
- 51- رئيسة موسى كريزم، عالم أحلام مستغاني الروائي، ص 22.
- 52- المرجع نفسه، ص 10.
- 53- أحلام مستغاني، ذاكرة الجسد، ص 5.
- 54- عالم أحلام مستغاني الروائي، ص 37.